استراتيجيات تعلم اللغات الأجنبية

حسن مالك

"... الاستراتيجيات التعلمية سيرورة فكرية يتم تنشيطها لفهم معلومات جديدة وهذا يعني أنها ترتبط «بالمدخلات» (input) "أي بالمعالجة والتخزين والاسترجاع"

تمهيد

توجد حسب آخر الدراسات في مجال اللسانيات التطبيقية والدراسات التربوية الحديثة ثلاثة أنواع من الاستراتيجيات لتعلم اللغات الأجنبية. فهناك استراتيجيات التعلم (Learning Strategies) واستراتيجيات التواصل (Communication Strategies) ثم استراتيجيات التعليم (Teaching Strategies). ويمثل مفهوم الاستراتيجيات تحولا مهما في نظريات تعليم اللغات الثانية/ الأجنبية، وهو يرتكز على سؤالين أساسيين:

كيف يتعلم الطالب اللغة الثانية/ الأجنبية؟

ما الوسائل التي يعتمد عليها لتنمية قدراته اللغوية والتواصلية؟

1 - استراتيجيات التعلم:

تعد استراتيجيات التعلم بمثابة إجراءات يتم بناؤها لغرض دعم تعليم اللغة الثانية أو الأجنبية، فمتعلم هذه اللغة يقبل على تعلمها وهو يتوفر على معرفة خاصة بلغة واحدة (اللغة الأم) أو أكثر، لهذا فهو يبدأ بطرح الأسئلة

والتفكير في اللغة الهدف. هذه المعرفة هي الاستراتيجيات التعلمية التي يتوفر عليها.

فالاستراتيجيات التعلمية هي استراتيجيات ترتبط بمهارات تعلمية مختلفة: مهارات فكرية، مهارات حل المشكلات، مهارات عقلية، مهارات وظيفية، قدرات معرفية، وعمليات إرادية...

والاستراتيجيات التعلمية سيرورة فكرية يتم تنشيطها لفهم معلومات جديدة وهذا يعني أنها ترتبط «بالمدخلات» (input) "أي بالمعالجة والتخزين والاسترجاع"[1].

ولمزيد من التوضيح يمكن تعريف الاستراتيجيات التعلمية كما يلي:

- استراتيجية (Strategy): وهي كلمة يونانية الأصل (Strategia) وتعني "فن الحرب" (The art of war) وهي تعني أيضا "خطة" (Tactic).

- تعلم (to learn): وهي كلمة تعني: التحصيل، التخزين، الاسترجاع، وتوظيف المعلومات. لهذا يمكن تعريف الاستراتيجيات التعلمية بأنها خطط التعلم التي يستعملها المتعلم لتعلم اللغة الهدف.

وتعرفها «ريبيكا أوكسفورد» (Oxford،R 1990.) بأنها "أفعال خاصة يتخذها المتعلم لجعل التعلم سهلا وسريعا وممتعا أكثر وفعالا وسهل التحويل في ظروف جيدة"[2].

وتتميز الاستراتيجيات التعلمية – حسب الباحثة نفسها- بأنها:

- تسهم في تحقيق الهدف الرئيسي من تعلم اللغة الأجنبية، أي: تحقيق الكفاية التواصلية.

- تتيح للمتعلمين الفرص لتوجيه أنفسهم ذاتيا على نحو أوسع وأشمل.

- توسع دور المدرس.

- يوظفها متعلم اللغة لمواجهة المشكلات التي تصادفه.

- تعزز التعلم المباشر وغير المباشر.

- ينفذها متعلم اللغة بوعي وقصد.

- تتميز بمرونتها وقابليتها للتعلم.[3]

ولقد صنف مجموعة من الباحثين من بينهم «أوكسفورد» (Oxford،R.1990)، الاستراتيجيات التعلمية إلى صنفين:

أ- الاستراتيجيات المباشرة (أو الأولية) وقد سميت كذلك لأنها تتطلب المعالجة العقلية للغة، وهي ثلاثة أنواع:

* الاستراتيجيات المعرفية وهي استراتيجيات تستعمل لتحصيل اللغة وتطوير نظامها، مثل: الاستنتاج والتطبيق (التكرار- تطبيقات شكلية على الأصوات والنظام الكتابي- تعرف استعمال التراكيب والمفردات والأنماط اللغوية- إعادة التركيب...)، الحفظ والإعادة (التخزين والاسترجاع)، التلخيص، استقبال الرسائل وإرسالها (تحصيل الفكرة بسرعة- استعمال المصادر لاستقبال الرسائل وإرسالها)، التحليل (تحليل منطقي للقواعد وتعميمها)...

* استراتيجيات التذكر وهي كما يدل على ذلك اسمها تساعد على إدخال المعلومات إلى الذاكرة من خلال التفاعل مع جماعة الفصل، مثل: استرجاع اللغة، خلق روابط فكرية وعقلية، توظيف الصور والأصوات والحركات، الربط، وضع الكلمات في السياق المناسب، تمثيل الأصوات في الذاكرة، المراجعة الجيدة...

* استراتيجية التعويض، مثل: التخمين بطريقة ذكية، تجاوز العوائق في الكلام والكتابة، استخدام القرائن اللغوية، التحول إلى اللغة الأم، استعمال اللغة الإشارية، تحاشي التواصل جزئيا أو كليا، اختيار الموضوع، تعديل الرسالة، استخدام المترادفات...

ب- الاستراتيجيات غير المباشرة (أو المساعدة) وهي التي تساعد على تعلم اللغة بدون تدخل مباشر للغة الأم، وهي كذلك ثلاثة أنواع:

* الاستراتيجيات «الميتامعرفية» (Metacognitive) وتستعمل للإشراف والتنظيم والتوجيه النفسي للتعلم وتتطلب معرفة حول اللغة الهدف ومعالجة معرفية لها، وذلك: بالتخطيط، والمراقبة الذاتية، والتقييم الذاتي، والاهتمام وتركيز التعلم (تجاوز المعلومات المعروفة- تأخير إنتاج الكلام للتركيز على الاستماع)، وتنظيم التعلم (الاستكشاف حول تعلم اللغة – التنظيم - تحديد الأهداف والغايات – تحديد غرض المهمة: الاستماع الهادف، المحادثة الهادفة...).

* الاستراتيجيات الوجدانية أو التأثيرية مثل: التشجيع، التحرر من القلق (الاسترخاء- التنفس العميق والتأمل- الاستماع للموسيقى- الضحك)، الثقة بالنفس، قياس الحرارة العاطفية (الاستماع إلى الجسد- مناقشة المشاعر والأحاسيس مع شخص آخر)، وهذه كلها عوامل تؤثر في التعلم.

* الاستراتيجيات الاجتماعية وتتطلب هذه الاستراتيجيات التعامل مع الآخرين عن طريق التعاون والتقمص الوجداني وطلب التوضيح والوعي بأفكارهم ومشاعرهم وطرح الأسئلة.

2 - استراتيجيات التواصل:

وهي مجموعة من الإجراءات التي تؤدي إلى تطوير كفاية المتعلم التواصلية في اللغة الهدف. فالاستراتيجيات التواصلية تساعد المتعلمين على الاستمرار في الحوار، لأن المهم بالنسبة لهم هو القدرة على الإنتاج والعطاء، وهذا يعني أن متعلم اللغة الهدف يبرز مهاراته (المحدودة) لتعويض عدم معرفته وإلمامه بمفردات ونحو اللغة الهدف.

يعتقد «كنال» و«سوين» (Canal،M and Swain،M.1980) أن الاستراتيجيات التواصلية هي مكون من مكونات الكفاية التواصلية أو ما يسميانه بالكفاية

الاستراتيجية،وهي: "مجموع الاستراتيجيات التواصلية المنطوقة وغير المنطوقة التي تعوض الأعطاب في التواصل بسبب متغيرات الأداء اللغوي ونقص الكفاية اللغوية"[4].

وانطلاقا من هذا التعريف يمكن تحديد مفهوم الاستراتيجيات التواصلية في كل ما يستعمله المتعلم من استراتيجيات لتجاوز المشاكل اللغوية في عملية التواصل، مثل: استراتيجيات الاجتناب (Avoidance strategies)، واستراتيجيات الإنجاز (Achievement strategies).

ومن بين الاستراتيجيات التواصلية التي يلجأ إليها متعلم اللغة الثانية أو الأجنبية، نجد: الإعادة، التمثيل، استحداث الكلمات، استعمال الإشارات والمرادفات، النقل والتحويل، طلب المساعدة، السكوت أو التردد، إظهار الفهم، التجاوز الكامل أو الجزئي، التخمين، العودة إلى لغة أخرى، اختيار موضوع المناقشة، استعمال جمل بسيطة، طلب التوضيح...

3 - استراتيجيات التعليم:

وهي استراتيجيات متعلقة بالتعليم لكنها في الواقع تسهم في التعلم، لأنها تفرض على المتعلم استعمال استراتيجيات تعليمية محددة لتعلم اللغة الثانية أوالأجنبية.

يعرف «مارتون» (Marton،W.1988) الاستراتيجيات التعليمية كما يلي: "هي مجموعة شاملة من الإجراءات البيداغوجية التي تفرض طريقة تعليمية محددة على المتعلم مباشرة والتي تؤدي إلى تطوير كفايته في اللغة الهدف"[5]. وهذا يعني أن الاستراتيجيات التعليمية يجب أن لا تختلف عن الاستراتيجيات التعلمية، وفي نفس الوقت يجب أن تأخذ مكانها وإلا فإن التعلم لن يتحقق.

بالنسبة لـ «مارتون» (Marton) هناك أربع استراتيجيات تعليمية:

أ- استراتيجية الاستقبال:

«الاستراتيجية التعليمية التي تفرضها استراتيجية الاستقبال تشمل المعالجة الصامتة للكم الداخل دون إنتاج أي مجهود نطقي في اللغة الهدف[6]. لم يذكر "مارتون" (Marton) المدة التي تستغرقها هذه الاستراتيجية قبل أن يتمكن المتعلم من إنتاج تعابير في اللغة الهدف، فداخل الفصل الذي تعلم فيه اللغة هناك دائما متعلمون يريدون المشاركة مبكرا في إنتاج تعابير في اللغة الهدف.

ب – استراتيجية التواصل: «هذه الاستراتيجية تطور استراتيجية تعليمية محددة والتي يمكن تعريفها بالشروع في التواصل باللغة الهدف[7]. واستراتيجية التواصل بالنسبة لـ "مارتون" (Marton) تشبه عملية اكتساب اللغة الأم، إنها اكتساب عفوي للغة الثانية أو الأجنبية. فهي تلعب دورا مهما في طرق التدريس بحيث تجعل متعلم اللغة الثانية أو الأجنبية يحاكي

نفس الطريقة التي يستعملها الأطفال عند اكتسابهم لغتهم الأم. فهي بذلك لا توفر للمتعلم معرفة ميتالسانية حول اللغة الهدف، بقدر ما تهدف إلى محاكاة طرق اكتساب اللغة الأم وتطبيقها على تعلم اللغة الثانية أو الأجنبية.

ج – استراتيجية إعادة البناء: وهي ترتكز على استراتيجيات تعلمية مختلفة تهدف إلى تطوير كفاية المتعلم في اللغة الهدف.

وأنشطة إعادة البناء ترتكز غالبا على النصوص اللغوية سواء المنطوقة أو المكتوبة في اللغة الأم.

د – استراتيجية الانتقاء: ومن خلالها يقوم المدرس بانتقاء ما يرغب فيه من استراتيجيات من عدة مصادر، ويكيفها حسب الموقف التعليمي الذي يوجد فيه.

وهذا الانتقاء يمكن أن يكون إيجابيا ويمكن أن يكون سلبيا، ما دامت الاستراتيجيات غير مبنية على تفكير واضح وسليم[8].

إن الاستراتيجيات التعليمية عموما هي تلك الاستراتيجيات التي يمكن بناؤها على شكل خطط لتوجيه التعليم، اعتمادا على استراتيجيات المتعلم التعلمية والتواصلية. وهي إجراءات تدريبية (تعليمية) يستعملها مدرس اللغة لتقديم اللغة في صورة قابلة للتعلم.

خاتمة:

نشير أخيرا إلى أن الاستراتيجيات بشكل عام لا تعرف الاستقرار والثبات، بل تتنوع وتتجدد ويسهم في بنائها إضافة إلى العناصر اللغوية عوامل أخرى داخلية وخارجية(سيكولوجية وسوسيولوجية وبيداغوجية وثقافية...). ويعد التعرف على الاستراتيجيات بأنواعها المختلفة مطلبا أساسيا في أدبيات تعلم اللغة الأجنبية، وذلك لكونها ترتبط بشخصية المتعلم وطريقة تفكيره وتعامله مع اللغة الهدف وإرادته الذاتية في التعلم من جهة، وبعناصر العملية التعليمية التعلمية القائمة على التصميم والتنظيم والتخطيط والتقويم من جهة ثانية. وبالتالي فإن التعرف على هذه الاستراتيجيات يعد لدى المدرسين مفتاحا لتطوير القدرات اللغوية والتواصلية للمتعلمين. فعلى ضوء ما يتم التعرف عليه من استراتيجيات يمكننا أن نسهم في تطوير عملية تعلم اللغة الأجنبية وإنجاحها.

المراجع

- **العربية:**

- براون دوجلاس. أسس تعلم اللغة وتعليمها. ترجمة د. عبده الراجحي ود. علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.

- **الأجنبية:**

- Canale، M. and Swain. M. Theoretical Bases of communicative approaches to second language

teaching and testing. In: applied linguistics، vol . 1 NO. 1: 1–47، 1980.

– Marton، W. Methods in English Language Teaching : Frameworks and Options. Prentice Hall International (LTD) U.K . 1988

– Oxford ، R. Language Learning Strategies : what Every Teacher Should Know. Newbury House publishers، Newyork. 1990.

الهوامش

1 – دوجلاس براون. أسس تعلم اللغة وتعليمها. ص:120

2 –Oxford . R. Language learning strategies : What every teacher should know. Newyork : Newbury House. 1990 .p: 8.

3 – Oxford .R.Op.Cit.P :9

4 –Canale، M and M. Swain. Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing. in :Applied Linguistics، vol . 1 N O. 1 . 1980. P P : 1–47.

5 –Marton .W. Methods in English language teaching : FrameWorks and Options .Prentice Hall International (LTD). U.K . 1988. p: 2.

6 –Marton.W.Op.cit . p :3.

7 – Ibid. p :34.

8 – Marton.W.Op.cit . p :57.